
سلسلة دروس المنهاج النبوي 5
الثمن
الأستاذ عبد السلام ياسين

بسم الله الرحمن الرحيم

سلسلة دروس
المنهاج النبوي

5

الثمن

الأستاذ عبد السلام ياسين

هذه السلسلة

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وآله وصحبه وإخوانه وحزبه.

الحمد لله الملك الوهاب الحكيم العليم، الفاتح أغلاق الأفئدة الهادي إلى الصراط المستقيم، القاسم أرزاق العباد فمقتر وذو سعة كريم، ونشهد أنه الله لا إله إلا هو البر الرحيم، فتق رتق أسماع أصفيائه فأصغوا إلى ذكر الله وما لغوا فيه، وروى بواطن قلوبهم باليقين المطمئن فسالت فيها أودية المحبة بقدر نبيه.

ونصلي ونسلم على سيدنا محمد بن عبد الله رسوله مشكاة النور، وسراج الحضرة الربانية المصطفى المعصوم الأمين المبلغ المبرور، صلى الله عليه وسلم وعلى إخوانه أنبياء الله وآله وصحبه ومن والاه.[1]

(1) مقدمة المنظومة الوعظية.

أما بعد، إخواننا وأخواتنا نقدم بين أيديكم الحلقة الخامسة من سلسلة دروس المنهاج النبوي التي ألقاها مرشدنا عبد السلام ياسين حفظه الله في مطلع هذا القرن المبارك، قرن الخلافة على منهاج النبوة نفرغها من الأشرطة المسموعة الأصلية. وفي مطبوعاتنا بعض التنقيحات أحيانا، فما المسموع كالمقروء.

والأمل معقود في أن تلقى هذه المبادرة استحسانا وقبولا من جميع الإخوة والأخوات.

فالقصد أن تعم الفائدة، ورجاؤنا فيه سبحانه وتعالى أن يجعل عملنا هذا خالصا متقبلا.

اللهم ارزقنا سلامة قلوبنا لتصلح لك.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

سلا ليلة الثلاثاء 16 جمادى الأولى 1419 هـ

هذا المجلس الخامس من السلسلة التي نتحدث فيها عن المنهاج النبوي وعن شعب الإيمان، بتاريخ 22 رمضان من السنة الأولى من هذا القرن المبارك،
قرن التجديد والإسلام.

الثمن

أيها الأحبة الكرام، أيها المؤمنون، أيها المجاهدون. نتحدث بناءً على المجالس السابقة عن التجديد الديني تجديد الإيمان وعن اقتحام العقبة. وقد كنا وقفنا عند عقبة النفس.

وعند عقبة النفس يقف الناس، فإما ناكص على عقبيه وإما مُقْدِمٌ على ربه عز وجل تهون في عينيه المشَاقُ عندما تسمو همته إلى طلب الآخرة وطلب القرب من الله. في المجلس الأخير كنت تعرضت لِتَلَكُّؤ بعضِ الناس وتبريرهم القعود بمثل قول الله عز وجل: ﴿**وَلاَ تُلْقُواْ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ**﴾[1]. أمثال هؤلاء الناس يقفون على «ويل للمصلين» ويحرفون الدين وينسبون إلى الله عز وجل ما لم يأمر به.

ولطالما استعملت هذه الآية الكريمة:﴿**وَلاَ تُلْقُواْ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ**﴾ في مثل هذه المواقف المتخاذلة الضعيفة الانهزامية. وقد كانت موضع جدل من العصور الأولى من عهد الصحابة رضي

---

(1) سورة البقرة، الآية:194.

الله عنهم. ورد أن رجلا سأل البراء بن عازب رضي الله عنه الصحابي الجليل قال: إن حملت على العدو وحدي فقتلت أكنت ألقيت بيدي إلى التهلكة؟ قال: لا! قال الله لرسوله ﴿ **فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللّهِ لاَ تُكَلَّفُ إِلاَّ نَفْسَكَ**﴾[1]. ثم قال سيدنا البراء بن عازب: إنما نزلت في الإنفاق الآية: ﴿**وَأَنفِقُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَلاَ تُلْقُواْ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوَاْ إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ**﴾[2]. نزلت في الإنفاق. عن أسلم أبي عمران التجيبي، قال: «كنا بمدينة الروم فأخرجوا إلينا صفا عظيماً من الروم، فخرج إليهم من المسلمين مثلهم أو أكثر، وعلى أهل مصر عقبة بن عامر، وعلى الجماعة فضالة بن عبيد، فحمل رجل من المسلمين على صف الروم حتى دخل عليهم، فصاح الناس وقالوا: سبحان الله يلقي بيده إلى التهلكة! فقام أبو أيوب الأنصاري، فقال: يا أيها الناس إنكم لتأولون

---

(1) سورة النساء، الآية:83.
(2) سورة البقرة، الآية:194.

هذه الآية هذا التأويل وإنما نزلت هذه الآية فينا معشر الأنصار، لما أعز الله الإسلام وكثُر ناصروه، فقال بعضنا لبعض سِرّاً دون رسول الله صلى الله عليه وسلم إن أموالنا قد ضاعت وإن الله قد أعز الإسلام وكَثُر ناصروه فلو أقمنا في أموالنا فأصلحنا ما ضاع منها، فأنزل الله تبارك وتعالى على نبيه الله صلى الله عليه وسلم يرُدُّ علينا ما قلنا ﴿**وَأَنفِقُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَلاَ تُلْقُواْ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ**﴾ فكانت التهلكة الإقامة على الأموال وإصلاحها وتركنا الغزو». حمل رجل من المهاجرين في القسطنطينية على صف العدو حتى فرقه ومعنا أبو أيوب الأنصاري –الصحابي الجليل– رضي الله عنه، فقال الناس: ألقى بيده إلى التهلكة! فقال أبو أيوب: نحن أعلم بهذه الآية! إنما نزلت فينا». ثم يحكي الصحابي الجليل رضي الله عنه كيف نزلت هذه الآية لكي يضعها في نصابها ولكي يعطيها مدلولها الحقيقي. قال: «صحبْنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وشهدنا معه المشاهد ونصرناه. فلما فشا الإسلام اجتمعنا معشر الأنصار تحببا». أقول: معنى «اجتمعنا تحببا» أنه حصلت بينهم المودة التي تحصل

بين المسلمين، فتحابوا في الله وجمع الود بينهم بعد أن كانت عصبيات الجاهلية ونفرات الجاهلية وعُبِّيَّات الجاهلية تحكم علاقاتهم.

قال: فقلنا قد أكرمنا الله بصحبة نبيه صلى الله عليه وسلم ونصرته حتى فشا الإسلام وكثر أهله وكنا قد آثرناه على الأهلين والأموال والأولاد.

معنى آثروا رسول الله: فضلوا رسول الله على المال والأهل والولد. قال: وقد وضعت الحرب أوزارها. فنرجع إلى أهلينا وأولادنا. أقول لعل هاجسا من هواجس القعود زيَّن لهم الارتخاء قائلا : فيم التعب والله نصر رسوله ! فاقعدوا. نرجع إلى أهلينا ونقعد. لماذا نمضي في الجهاد! وهذا الهاجس وهذا النازغ من هواجس الشيطان ونوازعه يلح على الناس لاسيما إن رأى أن علامات اليقظة وأمارات اليقظة وجذور الإيمان أخذت تترعرع في قلوبهم وبدأت بالظهور.

تقول الهواجس النفسية والشيطانية: ناموا ولا تستيقظوا!

قال الصحابي: «فنرجع إلى أولادنا وإلى أهلينا فنقيم فيهم». لكن الله عز وجل ربنا ما ترك هؤلاء المؤمنين المجاهدين صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم لهذه الهواجس المتخاذلة ولرغبات القعود والخمود والكسل والنكوص على أعقابهم. بل أنزل من الآيات ما يثبِّت عزائمهم وما يحرضهم على الجهاد والقتال. قال الصحابي الجليل: «فنزل فينا قوله تعالى: ﴿**وَأَنفِقُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَلاَ تُلْقُواْ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ**﴾. هذا ما ورد وأُكْمِل الآية: ﴿**وَأَحْسِنُوَاْ إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ**﴾. قالَ أبو أيوب: «فكانت التهلُكة في الإقامة في الأهل والمال وترك الجهاد».

حصل من هذه الرواية من خبر أبي أيوب رضي الله عنه أن الصحابة رضي الله عنهم لما غزوا القسطنطينية ووقفوا أمامها يحاصرونها ثم اصطفوا أمام العدو حينما خرج إليهم يناجزهم برز رجل من المؤمنين من الصَفِّ ودخل في صف الكفار. فقال قليلو العلم مِمَّن حضر الجهاد: ألقى بنفسه إلى التهلُكة! ذلك أنه لم يقرأ من القرآن ما به يضع الأمر الإلهي في نصابه، إنما قرأ

جزءا من الآيات، ما قرأ الذي قبلها، وما سأل عن سبب نزولها.

الصحابي الجليل أبو أيوب الأنصاري الذي كان مُضَيِّفَ رسول الله صلى الله عليه وسلم وصاحب مثواه عند هجرته عندما نزل بالمدينة صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم. قال أبو أيوب: أنا أعلم الناس كيف نزلت هذه الآية ثم بعدما قص الأمر كيف حدث وبيَّن أن التهلُكة في الإقامة في الأهل والمال وترك الجهاد. وحاشا لله أن تكون التهلُكة في الإقبال على الله عز وجل وفي الجهاد في سبيل الله وفي الموت في سبيل الله وفي مناجزة أعداء الله! حاشا لله!

كنا قرأنا في المجلس الأخير قول الصحابي الصِّدِّيق الحبيب أبي بكر: «ما ترك قوم الجهاد إلا ذَلُّوا أو ضربهم الله بالذُّلِ». فنحن أُولاءِ أمامَ دعاة الانهزام والتخلف والجهل والقعود. فهل نترك هواجسهم تغلب على الساحة؟ هل نترك هذه الأصوات الجبانة تغلبنا على القلوب المقبلة على الإسلام والإيمان والتي تحدث نفسها بالجهاد؟ أم نأخذ الأمر من أصله ونسمع

الخطاب حيا في كتاب الله عز وجل وننظر المثال الحي في السيرة النبويَّة العطِرة؟

نقرأ الكتاب العزيز فنرى أن الله عز وجل عندما عرض على المسلمين بل على المؤمنين الجنة ما طلب منهم ثمنا جزئيا، ما طلب منهم المواقف المتصالحة، ما طلب منهم إيمانا هينا لينا. إنما طلب منهم كل شيء قال الله عز وجل: ﴿**إِنَّ اللّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الجَنَّةَ**﴾[1]. وتبين الآيات الكريمات ما يطلبه المشتري من البائع. قال الله تعالى: ﴿ **يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْداً عَلَيْهِ حَقّاً فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللّهِ فَاسْتَبْشِرُواْ بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُم بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ**﴾[2].

(1) سورة التوبة، الآية: 112.
(2) سورة التوبة، الآية: 112.

إذا أردت الجنة فأعط العوض. أعط، أنفق من مالك، أنفق من جهدك، من وقتك، من علمك، من حركتك، من نعم الله عليك حتى يستغرق جهادك كل مالك وكل نفسك. الله عز وجل يرفع همتنا للمقام الأسنى، فلا يقبل منا الإيمان على الجزئية. **﴿إِنَّ اللّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْداً عَلَيْهِ حَقّاً فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ﴾**.

«يقاتلون ويقتلون» أما من دعا إلى غير هذا فإنما يميت علينا ديننا، أمانة الله!

ما دون استغراق كل الجهد وكل المال، ما دون الهجرة في سبيل الله وترك الديار والمال والأهل وما دون الموت في سبيل الله أذى، هنالك الأذى يتحمله العبد الصالح، العبد المؤمن، وتتحمله جماعة المؤمنين في سبيل الله. وهذا هو الإسلام وعلى هذا درجتْ سنة الله عز وجل في الذين من قبلنا. لن نكون على مستوى الجهاد ولن نكون لاحقين بمن سبقنا بإيمان

إلا إذا كنا كما كانوا، وإلا إذا تلقينا الخطاب الإلهي بنية التنفيذ كما تلقوا، وإلا إذا تعرضنا للأذى وصبرنا وتحملنا.

من كان يظن أن الإسلام سيقوم بدون مساعي متواصلة، بدون بذل، بدون أذى، بدون نفقة في سبيل الله، بدون موت في سبيل الله فإنما يكذب على الله ويكذب علينا ويُضلنا.

يقول الله عز وجل في كتابه: ﴿ **لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ**﴾[1] ويقول الله عز وجل مخاطبا نبيه صلى الله عليه وسلم وإيانا ﴿**قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ**﴾[2] ماذا فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم بأبي هو أمي؟ ماذا فعل إبراهيم؟ ماذا فعل رسل الله عليهم السلام؟ هل قعدوا في البيوت ينتظرون أن يقوم الإسلام بالأحلام اللذيذة، والأماني المعسولة؟ لا والله! إنما برزوا بالجهاد وأدوا الثمن.

---

(1) سورة الأحزاب، الآية:21.
(2) سورة الممتحنة، الآية:4.

أستعرض من كتاب الله عز وجل آيات بينات تضع أمامنا جهاد من سبقونا بإيمان من أنبياء الله ورسله وأصفيائه وخيرته من خلقه. ثم نستعرض من سيرة النبي صلى الله عليه وسلم مواقف تحمل فيها الحبيب صلى الله عليه وسلم ما يجب أن يكون لنا حافزا لنتحمل نحن وصبر صلى الله عليه وسلم لما ينبغي أن نصبر على مثله فيكون صبره وتحمله لنا سنة نقتدي بها. وإلا فإن الله عز وجل لا يقبل منا هذا الإيمان الجزئي الذي بمقتضاه نَزعُم السنية. نقول إننا نتبع السنة، لكن نكتفي من السنة بما لا ينالنا في سبيله أذى. نخضب اللحية، ونقلم الأظفار في أوقاتها، ونُدَحرِجُ ركعات في وقتها أو خارج وقتها، ونسبح تسبيحات، ونتلو آيات، ثم نفرغ لأهوائنا وإرضائها. ونفرغ بعد ذلك للغفلة.

لا والله! لن نكونَ على مستوى يرضي الله عز وجل إن لم نحْذُ حذوهم.

قال الله عز وجل في سورة الأحزاب يخبرنا ويحذرنا ويعلمنا:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَى فَبَرَّأَهُ

اللَّهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِندَ اللَّهِ وَجِيهاً﴾[1]. نهينا لا نؤذي المؤمنين كما آذى بنو إسرائيل موسى عليه السلام فبرأه الله مما قالوا. هذا الأذى الذي أوذي به موسى فصلته السنة النبوية كما جاء في الحديث. لم يكن أذى جسمانيا إنما كان أذى معنويا. كانت دعاية. كان سيدنا موسى عليه السلام عندما يأتي للمغسل ليغتسل يختفي، كان يستتر ويخفي عورته. وكان بنو إسرائيل لعن الله من كفر منهم. فإن منهم الصالحين الذين صحبوا الأنبياء ولم يقتلوا الرسل. كانوا لايستترون العورة كما هو شأنهم فضحهم الله. فقالوا: ما يستتر موسى إلا لمرض ولعاهة فيه! والقصة في الحديث طويلة. ذلك أن موسى عليه السلام جاء يوما يغتسل فوضع ثيابه على حجر، فهرب الحجر بثوبه. فخرج موسى من المغتسل يتبع الحجر يقول ثوبي ثوبي. الحجر أخذ الثوب! هكذا جاء في الحديث النبوي الصحيح. فرآه بنو إسرائيل سليما في جسمه لم تكن به تلك العاهة التي

(1) سورة الأحزاب، الآية 69.

كانوا يرمونه بها. قيل إنهم كانوا يقولون إنه عنين، أي ليست له رجولة. هذا أذى معنوي.

في سورة إبراهيم يقص الله عز وجل نبأ الذين من قبلنا كيف أوذوا وكيف صبروا. قال الله تعالى: ﴿**أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِن بَعْدِهِمْ لاَ يَعْلَمُهُمْ إِلاَّ اللّهُ جَاءتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَرَدُّواْ أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ وَقَالُواْ إِنَّا كَفَرْنَا بِمَا أُرْسِلْتُم بِهِ وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَنَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي اللّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى قَالُواْ إِنْ أَنتُمْ إِلاَّ بَشَرٌ مِّثْلُنَا تُرِيدُونَ أَن تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَآؤُنَا فَأْتُونَا بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِن نَّحْنُ إِلاَّ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ وَلَكِنَّ اللّهَ يَمُنُّ عَلَى مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَمَا كَانَ لَنَا أَن نَّأْتِيَكُم بِسُلْطَانٍ إِلاَّ بِإِذْنِ اللّهِ وَعلَى اللّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ**﴾. وبعد هذه الآيات البينات قص الله عز وجل علينا مقالة الرسل عليهم السلام.قالوا

: ﴿**وَمَا لَنَا أَلاَّ نَتَوَكَّلَ عَلَى اللّهِ وَقَدْ هَدَانَا سُبُلَنَا وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَى مَا آذَيْتُمُونَا وَعَلَى اللّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ**﴾[1]. كان الأحباب رسل الله صلى الله عليهم وسلم موطدي العزم من الخطوة الأولى على الصبر. أولا الجدال، يقول الرسل ويقول أعداء الرسل. بعد ذلك انتقلوا إلى المرحلة الجديدة مرحلة الأذى، فأعلن الأنبياء من أول مرة: ﴿**وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَى مَا آذَيْتُمُونَا**﴾. ما كانوا يحدثون أنفسهم أن تنجح الرسالات وتنتصر وهم قعود في عقر دورهم. بل كانوا موطدي العزم على الجهاد وعلى الصبر على الأذى.

ويبشرهم ربهم عز وجل فيوحي إليهم كما قص علينا في كتابه العزيز، قال: ﴿**وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُواْ لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُم مِّنْ أَرْضِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ الظَّالِمِينَ وَلَنُسْكِنَنَّكُمُ الأَرْضَ مِن بَعْدِهِمْ ذَلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ**

---

(1) سورة إبراهيم، الآيات 12-15.

وَعِيدِ﴾[1]. كانوا عليهم الصلاة والسلام على يقين من نصرة الله إياهم إن نصروه. لم يكن لهم أدنى شك في أن الله ينصرهم إن نصروه. قال الله عز وجل: ﴿**وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ**﴾[2]. فلذلك ما ترددوا ولذلك أعلنوا أنهم يصبرون على الأذى رغم أن التهديد جاء صريحا: ﴿**وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُواْ لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُم مِّنْ أَرْضِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا**﴾.

يقول الله عز وجل في سورة الصف: ﴿**وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِي وَقَد تَّعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ**﴾[3].

أوذي موسى وصبر، وأوذي رسول الله صلى الله عليه وسلم بكل أنواع الأذى. وسنأتي إن شاء الله بنماذج من الحديث الصحيح. قال الله عز وجل في سورة التوبة: ﴿ **وَمِنْهُمُ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ**

---

(1) سورة إبراهيم، الآيتان 16-17.
(2) سورة الحج، الآية 38.
(3) سورة الصف، الآية 5.

﴿وَيِقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ قُلْ أُذُنُ﴾[1]. يؤذونه أذى معنويّاً، دعايةً يحطون بها من قيمته: **﴿وَقَالُوا مَالِ هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ﴾**[2]. وقالوا مثل هذا للأنبياء قبله. قالوا هو أذن يسمع لكل من أتى بخبر قال الله عز وجل يلقنه الجواب: **﴿قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَّكُمْ يُؤْمِنُ بِاللّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ آمَنُواْ﴾**[3]. أذُنُ خيرٍ يثق لأن قلبه لا يحتضن الغل والحقد والشك والريب. يحسن الظن بالناس فيستمع. **﴿وَيِقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ﴾**، هذا أذى.

وسننظر بعد ذلك الأذى في جسمه صلى الله عليه وسلم، في عرضه صلى الله عليه وسلم في أهله صلى الله عليه وسلم، في أهل بيته، في صحابته الكرام. في سورة آل عمران وعد الله عز وجل الجنة ومغفرة الذنوب لمن قال الله تعالى عنهم: **﴿فَالَّذِينَ هَاجَرُواْ وَأُخْرِجُواْ مِن دِيَارِهِمْ وَأُوذُواْ فِي سَبِيلِي وَقَاتَلُواْ**

---

(1) سورة التوبة، الآية 61.
(2) سورة الفرقان، الآية 7.
(3) سورة التوبة، الآية 61.

وَقُتِلُواْ لأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ﴾[1]. في هذه الآية بيان أنَّ الإيمانَ كله جهاد: هاجروا، أخرجوا من ديارهم، أوذوا في سبيلي، قاتلوا، قتلوا. هل منهم من جلس في بيته وقعد يقول لا حول ولا قوة إلا بالله؟ انهزم الإسلام في عصور الانحطاط. من أسباب الهزيمة قعود ذلك الذي لا يبرز لكي يؤدي حق الله عليه في الجهر بالحق، في السعي لإقامة دين الله، لإحقاق الحق وإبطال الباطل. هذا سبب من أسباب انهزام المسلمين ومن أسباب تأخر المسلمين ولو شاء الله لنصر هذا الدين بالمعجزات وبالملائكة من عنده كما نصره حين شاء.

لكن الله عز وجل قرن نصر دينه بجهاد أوليائه جعلني الله وإياكم منهم. يقول الله عز وجل لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم ما يثبت فؤاده ويوصيه بالصبر: ﴿**وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُواْ عَلَى مَا كُذِّبُواْ وَأُوذُواْ حَتَّى أَتَاهُمْ نَصْرُنَا وَلاَ مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللّهِ**

(1) سورة آل عمران، الآية 195.

وَلَقدْ جَاءكَ مِن نَّبَإِ الْمُرْسَلِينَ﴾[1]. ﴿**جَاءكَ مِن نَّبَإِ الْمُرْسَلِينَ**﴾ لماذا؟ لكي تتلوه هكذا؟ لا! قال الله عز وجل ﴿**وَكُلاًّ نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَاء الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ**﴾[2]. فما بالنا أيها المؤمنون أيها الأحبة نقرأ كتاب الله كأننا نقرأ أساطير الأولين؟ ما بال مثال الجهاد الذي فرضه الله علينا، جهاد الأنبياء وصبرهم لاينبهنا وينهضنا؟ ما بال هذه الأمثلة لا توقظ فينا دواعي العزم ومعاني الرجولة والإيمان والجهاد؟

ذلك والله لأَنَّ قلوبنا غلف وفيها مرض نعوذ بالله. في قلوبنا مرض، وإلا لما اكتفينا بالكلام عن العمل كما يفعل الشعراء حين ينظمون القصائد. ومن الشعراء من لا ينظم القصائد وإنما يخطب الخطب ويكتب الكتب ويؤلف. يقول ناطقهم: انصروا الإسلام ! الصحوة الإسلامية! اعملوا! الإسلام سينتصر! قال الله تعالى: ﴿**وَالشُّعَرَاء يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ أَلَمْ**

(1) سورة الأنعام، الآية 35.
(2) سورة هود، الآية 119.

تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ﴾[1]. فكل من يقول ما لا يفعل له نصيب من هذا الوعيد الشديد. نفاق عم المسلمين وتجدر في بيئات المسلمين، فأصبحوا لا يكاد يصدق عليهم من أنواع خطاب الله عز وجل للبشر إلا «ناس».

في الخطاب القرآني عندما نقرأ «يا أيها الناس» فالكلام موجه للمنافقين و الأخلاط والكفار وخليط الناس. أما خطاب المحبة والتعزيز والتكريم فيجيء بصيغة: «يا أيها الذين آمنوا». فانظروا أحبتي كيف خاطب الله الذين يقولون ما لا يفعلون. قال عز شأنه في سورة العنكبوت: ﴿**وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ وَلَئِن جَاء نَصْرٌ مِّن رَّبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ أَوَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِي صُدُورِ الْعَالَمِينَ﴾**[2]. هؤلاء يقال لهم بلسان العصر: وصوليون، انتفاعيون، انتهازيون. يتكلم أحدهم بالكلام الفخم الحماسي

---

(1) سورة الشعراء، الآيات 223-225.
(2) سورة العنكبوت، الآية 9.

ويخطب ويلهب المشاعر بنظمه ونثره. فإذا كان الأذى انسحب واختفى وإذا نصر الله المسلمين قال: كنت معكم.

مثل هذا في القرآن كثير: منافقون يقولون آمنا بالله، لكن إذا أوذي في الله جعل فتنة الناس كعذاب الله. أما المجاهد المؤمن القوي فهو الذي يعرض عليه خيار بين عقاب الله في الآخرة والصبر للفتنة فيصبر على فتنة الدنيا لكي يجتنب عقاب الله عز وجل في الآخرة. المنافق يجعل فتنة الناس كعذاب الله فينكص على عقبيه نعوذ بالله. يقول الله عز وجل لنبيه الكريم في سورة الأحزاب: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً وَمُبَشِّراً وَنَذِيراً وَدَاعِياً إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجاً مُّنِيراً وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ اللَّهِ فَضْلاً كَبِيراً وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ وَدَعْ أَذَاهُمْ**﴾[1]. الأذى لا بد منه. قال قتادة: ﴿**دَعْ أَذَاهُمْ**﴾ بمعنى اصبر على أذاهم، لا يشغلك عن الله، لا يشغلك الخوف من الناس عن الخوف من الله، لا تجعل فتنة الناس كعذاب الله. دع أذاهم.

(1) سورة الأحزاب، الآيات 45-48.

﴿**يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً**﴾ معنى شاهدا؟ شهد يشهد في اللغة ضد غاب، نقيضا غاب. شاهد: حاضر.

في الحقل الإسلامي غياب مذهل. غياب المسلمين مذهل في كل المجالات، في المجال العلمي والاقتصادي والسياسي والاجتماعي والجهادي. غياب مذهل! لكن والحمد لله ونحمد الله عز وجل على نعمه وتوفيقه أخذت الشهادة بمعنى الحضور الإسلامي يفرض نفسه على ضمائر الأمة وعلى ضمائر الإنسانية في واقع الجهاد في ساحة القتال في أفغانستان، في إيران، في الفلبين، في كل بقاع الأرض. نصر الله المسلمين وأعز الإسلام. ﴿**يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً**﴾ ماثلا حاضرا بارزا معروفا تدعو إلى الله ويفعل الظالمون ما شاءوا.

نستعرض خبر من كان قبلنا من أنبياء الله ورسل الله في سورة هود فكيف واجه الكفار أنبياء الله كيف واجه قوم نوحاً نبي الله نوح عليه الصلاة والسلام وعلى نبينا وعلى جميع النبيئين والمرسلين والصديقين والشهداء والصالحين. قال الله عز

وجل: ﴿**قَالُواْ يَا نُوحُ قَدْ جَادَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا فَأْتَنِا بِمَا تَعِدُنَا إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ قَالَ إِنَّمَا يَأْتِيكُم بِهِ اللّهُ إِن شَاء وَمَا أَنتُم بِمُعْجِزِينَ**﴾[1]، الآيتان. ناجزوه عارضوه وآذوه. ماذا قال قوم هود لهود: ﴿**الُواْ يَا هُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي آلِهَتِنَا عَن قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ{٥٣} إِن نَّقُولُ إِلاَّ اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوَءٍ قَالَ إِنِّي أُشْهِدُ اللّه وَاشْهَدُواْ أَنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ مِن دُونِهِ فَكِيدُونِي جَمِيعاً ثُمَّ لاَ تُنظِرُونِ إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللّهِ رَبِّي وَرَبِّكُم مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلاَّ هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ**﴾[2]. ﴿**أُشْهِدُ اللهُ**﴾. وماذا فعل؟ يشهد الله في عقر بيته؟ لا! هنا تحداهم تحديا قوياً. قال: ﴿**أُشْهِدُ اللّه وَاشْهَدُواْ أَنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ مِن دُونِهِ فَكِيدُونِي جَمِيعاً ثُمَّ لاَ تُنظِرُونِ**﴾. لا تنتظروا! أعدوا! هلموا! ايتوا بكل ما عندكم من كيد وأذى وقوة! اقتلوني! افعلوا ما تشاءون! كان الحبيب هود

---

(1) سورة هود، الآية 32.
(2) سورة هود، الآيات:53-55.

عليه الصلاة والسلام على يقين بنصر الله عز وجل، لذلك تحدى وبرز وخرج.

قوم من المسلمين يشهدون الله في قعر بيوتهم، يقولون على الموائد وفي أركان البيت. يقول أحدهم: يا أخي أشهد الله أني لا أرضى بالأمر الواقع! لا أرضى بالفساد! لا أرضى بالتبرج! لا أرضى بالظلم! لا أرضى بالخمر! لا أرضى بالربا! لا أرضى باحتلال فلسطين! لا أرضى أن يحكمنا اليهود لا أرضى أن يغلب المسلمون في أفغانستان! أن يقتل المسلمون في أفغانستان! لا أرضى ما يفعله ماركوس في الفلبين! ثم ينتهي الأمر. يقولون ما لا يفعلون. فأمَّا ما هو عليه عليه السلام ورسل الله وأنبياؤه فيشهدون الله ثم يبرزون للأذى ويصبرون ويحملون النفس على ما تكره. وأما نحن فنعطي للنفس ما تحب.

لا والله ما هكذا يكون الإيمان! لا والله لن ينال رضى الله عز وجل إلا من أعطى الثمن! هذا كتاب الله بيننا ماذا قال قوم صالح لصالح؟ ماذا فعل قوم صالح بصالح؟ ﴿**قَالُواْ يَا صَالِحُ قَدْ**

كُنتَ فِينَا مَرْجُوّاً قَبْلَ هَذَا أَتَنْهَانَا أَن نَّعْبُدَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا وَإِنَّنَا لَفِي شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ﴾[1]. إعراض: ﴿**قَدْ كُنتَ فِينَا مَرْجُوّاً قَبْلَ هَذَا**﴾[2]. كنت رجلا عاقلا، كنت رجلا فاضلا. والآن تقص علينا هذه الخرافات، تدعونا إلى الدين، إلى دين جديد. ثم قتلوا الناقة وآذوا صالحا .

ماذا قال قوم شعيب لشعيب وماذا فعل قوم شعيب بشعيب عليه السلام؟ ﴿**قَالُواْ يَا شُعَيْبُ أَصَلاَتُكَ تَأْمُرُكَ أَن نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَن نَّفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاء إِنَّكَ لَأَنتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقاً حَسَناً**﴾[3] إلى آخر السياق في سورة هود. ثم بعد ذلك قالوا: ﴿**قَالُواْ يَا شُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ كَثِيراً مِّمَّا تَقُولُ**

---

(1) سورة هود، الآية: 61.
(2) سورة هود، الآية: 61.
(3) سورة هود، الآيتان: 87-88.

وَإِنَّا لَنَرَاكَ فِينَا ضَعِيفاً وَلَوْلاَ رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ وَمَا أَنتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ﴾. في هذه الآية مغزى وفقه من فقه الدعوة ﴿**وَلَوْلاَ رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ وَمَا أَنتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ**﴾.

قال هرقل في مجلسه مع أبي سفيان كما جاء في السيرة النبوية: «كذلك الأنبياء، ما بعث الله نبيا إلا في منعة من قومه». يبعث الله عز وجل الأنبياء في منعة من قومهم، لهم عصَبَة لهم من يحميهم. أهلهم والأباء والعمومة والاخوة. كان أبو طالب وعبد المطلب قبله وعمومة رسول الله صلى الله عليه وسلم بنو العباس وبنو هاشم وبنو عبد مناف يدافعون عن الرسول صلى الله عليه وسلم وينافحون، فيخففون عنه الأذى. كذلك شعيب، قال قومه: ﴿**وَلَوْلاَ رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ وَمَا أَنتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ**﴾. رهط الإنسان قومه، والرهط في اللغة عدد من الناس المقصود هنا بالرهط العدد من قومه الذين يحمونه.

فالآن وهذا هو مقصد الفقه فقه الدعوة يقول بعض المسلمين بعض المؤمنين بعض من يحدثون أنفسهم بجهاد:

إننا قلة قليل عَددنا، ضعيفة عُدَّتُنَا، لا من يحمينا. فلو برزنا إلى الساحة لاجتثت الدعوة من أصولها. فنجيب بأن التماس العصبة والتماس من يحميك والتماس من يخفف عنك الأذى شيء مشروع لكن الشيء المنهي عنه هو أن يصبح هذا الالتماس تبريراً للقعود. ذلك أن الله عز وجل يقول في كتابه العزيز: ﴿**إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتاً لِلّهِ حَنِيفاً وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ**﴾[1]. كان أبونا إبراهيم عليه السلام أمة وحده. فزايل المشركين وكان وحده لم يكن معه أحد. أخذوه، وحاكموه، وحرقوه في زعمهم، ونصره الله عز وجل جاءت المعجزة ﴿**قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْداً وَسَلَاماً عَلَى إِبْرَاهِيمَ**﴾[2].

هل قال إبراهيم ليست لدي عصبة تخفف عني الأذى وليس لدي رهط يخيف الأعداء؟

---

(1) سورة النحل، الآية:120.
(2) سورة الأنبياء، الآية:68.

لا والله! بل برز وأدَّى رسالة ربه. فلا يكونَنَّ التماس الأعذار حاجبا لنا عن فريضة الجهاد وعن البروز للجهاد والتعرض لإحدى الحسنيين.

هذه نقطة الفقه فقه الدعوة. ﴿**لَوْلاَ رَهْطُكَ**﴾. كان لرسل الله رهط يحمونهم وأهل وعشيرة ونحن إن التمسنا أن نكون في منعة فلا بأس بهذا، لكن بشرط أن لا يكون هذا عائقا لنا وداعيا إلى الخمول والخمود والرضى بالأمر الواقع.

سبحانك اللهم وبحمدك نشهد أن لا إله إلا أنت نستغفرك ونتوب إليك. اللهم صَلِّ على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد كما صليت على سيدنا إبراهيم وعلى آل سيدنا إبراهيم وبارك على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد كما باركت على سيدنا إبراهيم وعلى آل سيدنا إبراهيم في العالمين إنك حميد مجيد.